

- اقرأ يا "دراكولا" يا عزيزي هيّا ورائي.. (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. وهو ألد الخصام).

ردد "دراكولا" وراءه في ملل ونطق أعجمي.. نظرت إلى وجهه.. لا أدري لماذا لا أرتاح لهذا الفتى..

- انتبه معي هنا.. فيم يسرح عقلك الصغير.. هيّا ردد (وإذا تولى سعي في الأرض ليفسد فيها)

من السيء أن يكون "دراكولا" أذاك.. من السيء أن ينام "دراكولا" بجانبك.. من السيء أن..

- (ويهلك الحرث والنسل.. والله لا يحب الفساد)

ظلّ "دراكولا" يردد الآيات والشيخ يقرأها.. واضح أن "دراكولا" يكره الشيخ.. هذا ليس غريباً.. فأخي يكره الجميع.. يكرهني ويكره هذا المكان ويكره القرآن.. بالإضافة إلى أن هذا المشهد جعلك ترفع حاجبك في دهشة ثم تخفضهما في سخرية؛ ظاناً أنني أحكي قصة كوميدية.. لا يا صديقي.. ها أنا ذا.. "رادو" بشحمي ولحمي أجلس في هذا المسجد وهماو أخي "دراكولا" بشحمه ولحمه يجلس بجانبني يردد آيات القرآن والشيخ يصرخ فيه وقد بدأ كل هذا الغباء يضايقه.

دعني أحكي لك الحكاية منذ البداية حتى يزول عنك العجب.. إن أبي كان حاكماً على مملكة والاكيا.. وقد أطلق عليه شعب والاكيا اسم "دراكول" وتعني بالرومانية التتين.. هذا لأن والدي كان عضواً مؤسساً في تنظيم سري مريب من الفرسان يدعى تنظيم التتين.. وقد وضع أبي رمز التتين هذا على العملة في والاكيا وعلى الدروع الحربية أيضاً.. فشاع بين الناس تسميته التتين.. "دراكول" أو دراجول كما ينطقها الأهالي في والاكيا.

- سيد "دراكول" إنها رسالة من السلطان العثماني يا سيدي.

- هاقم بدأت المشاكل.. وكل ذنبنا أن والاكيا بين مطرقة العثمانيين وسندان الهنغاريين.. يريدون الفتك ببعضهم البعض.. وفي سبيل هذا فلتذهب والاكيا إلى الجحيم.

قرأ "دراكول" رسالة السلطان باهتمام شديد.. إن الدولة الإسلامية تفرض عليه الجزية لتحمية من الهنغاريين وتشترط عليه أن يمددهم بالمقاتلين لو احتاج الجيش المسلم إلى المقاتلين.. وتطلب منه سرعة الرد والبرهان على الولاء.. وقد كان البرهان الذي اختاره والدي غريباً جداً.. لقد أرسلني أنا وأدعى "رادو" وأخي الأكبر "دراكولا" إلى أدرينوبل أو إدنة.. معقل السلطان العثماني المسلم.

- تعلم من أخيك "رادو".. لقد حفظ عشر سور حتى الآن.. ولم تحفظ أنت آية واحدة يا "دراكولا".

كان أقوى برهان على الولاء.. فيستحيل أن تهاجم دولة وقد أرسلت فلذات كبدك إلى سلطانها.. وجدنا أنفسنا أنا و"دراكولا" وعمرنا لم يتجاوز الثانية عشرة غرباء في بلاد غريبة.. ومبان غريبة.. وألبسة غريبة.. وعمائم طويلة.. ولحي.. وقصور.. كان أخي كارهاً لكل هذا السخف.. ورغم أن السلطان المسلم كان يهتم بنا جداً ويعلمنا الفروسية والقتال والعلوم بكافة أنواعها وخاصة الإسلامية منها إلا أن "دراكولا" لم يكن سعيداً.. كان يشعر أنه مجرد أسير.. وأن هؤلاء أعداؤه يحاولون أن يسقونهم بتعاليمهم وثقافتهم التي يكرهها ولا يستسيغها.. لكن بالنسبة لي كان الوضع مختلفاً.

- ما اسمك أيها الفتى الظريف ذو الشعر الذهبي ؟

- اسمي "رادو" وأنت؟

- أنا "محمد بن مراد" ابن السلطان.

لم أكن أعرف أنني سأعيش طفولتي مع "محمد بن مراد".. الرجل الذي عرفه الناس بعد ذلك بسنوات بمحمد الفاتح.. الفارس العظيم الذي فتح القسطنطينية..

كنت أنا و"محمد الفاتح" صديقين عزيزين.. وكلما اشتدت صداقتي معه قوة.. اشتدت عداوتنا أنا وهو مع "دراكولا".. إن "دراكولا" و"محمد الفاتح" لم يكونا يطيقان بعضهما منذ الصغر رغم أنه قد فُرضَ عليهما أن يعيشا طفولتهما معاً.. وأن يتدربا معاً ويتعلّما معاً.. لم يكن هذا غريباً أبداً.. فأحدهما كان فارساً حقيقياً وكان الآخر شيطاناً حقيقياً.

- هيّا ارم سهمك يا "رادو".. ارم سهمك .

رميت سهمي فأصاب منتصف اللوحة الدائرية.. يالبراعتي منذ صفري.. ضربت كفي في كف "محمد الفاتح" ووقفت بجانبه سعيداً أنني اقتربت من مهارته الفطرية.

- دورك يا "دراكولا".. هيّا ارم سهمك.

صوّب "دراكولا" سهمه ناحية اللوحة الدائرية.. ثم حوّل قوسه فجأة ناحيتي أنا و"محمد الفاتح".. ونظر لنا بغلّ.. واتسعت عيناى في رعب.

- ماذا تفعل يا "دراكولا".. هل جنت؟

شد "دراكولا" سهمه وقوسه مصوّب إلينا ثم أطلقه فجأة.. لم يطلقه ناحيتي.. بل حوّل في الثانية الأخيرة إلى اللوحة.. وأصاب سهمه منتصف الهدف بالضبط.. شعرت أنه كان يتمنى لو أن هذه اللوحة هي قلب "محمد الفاتح".. أو ربما قلبي أنا.

ست سنوات مضت ونحن على هذه الحال.. كبرنا وأصبحنا شباباً يافعين.. وها نحن نتسابق ثلاثتنا على جيانا العربية الأصلية بكل قوة.. هل ترك كيف أصبحت أشكالنا الآن؟ لقد كان شكلي مميزاً جداً.. كنت أمتلك شعراً ذهبياً فاتحاً جداً.. حريرياً طويلاً ينحدر إلى أسفل كتفي لا تمتلكه أجمل فتيات إدرنه.. ووجهها وسيماً وصوتاً رجولياً مميزاً.. بينما كان "دراكولا" أسود الشعر أجعده.. ينحدر شعره إلى أسفل منكبيه أيضاً.. لكن كان له شارب كبير يقف عليه الصقر كما

يقولون وعينان حادثان كأنهما عينا الصقر الذي كان سيقف على شاربه.. "محمد الفاتح" كان ذا لحية صغيرة مدببة وشعر بني وأنف طويل وعينين تشعان ذكاء وفروسية.

ثم أتى الخبر الذي حرك كل هذه المشاهد البطيئة.. لقد توفي أبي "دراكول" فجأة في والاكيا.. مؤامرة دبرها له البويار.. وهي كلمة تطلق على طبقة النبلاء في بلادنا والاكيا.. نزل علينا هذا الخبر ونحن في أشد فترات الدولة العثمانية انشغالا.. كنا على استعداد وتخطيط لفتح أكثر المدن حصانة في ذلك الوقت.. القسطنطينية.. وأنا أتحدث بكلمة (نحن) لأنني أصبحت مسلما.. بل فارسا مسلما.. لكن "دراكولا" بقي على دينه.. أرسل السلطان محمد الفاتح "دراكولا" إلى والاكيا ليصير حاكما لها خلفا لأبيه.. ويكون كما كان أبوه تابعا للسلطان العثماني ومؤتمرا بأمره.. أما أنا فقد أثرت البقاء هنا.. أثرت أن يكون لي شرف المشاركة في الفتح الكبير لقسطنطينية.

كانت وليمة عظيمة في والاكيا.. وليمة كان المضيف فيها هو الكونت "دراكولا".. والضيوف فيها هم أكابر البويار.. الذين أكلوا حتى ثملوا وخرج الطعام من أنوفهم – تعبير شعبي في والاكيا – سألهم دراكولا بهدوء :

- قولوا لي أيها النبلاء العظام.. كم حاكما حكم والاكيا عبر تاريخها؟

قال بعضهم عشرة حكام.. وقال بعضهم اثنا عشر حاكما.. بل ثلاثة عشر حاكما ربما.. قال دراكولا بثورة شيطانية فجأة :

- هذا لأنكم خونة.. تأكلون لحم الحاكم قبل أن يتم سنتين من حكمه..

كم سنة قررتم أن تمنحوني أيها البويار ؟

في اللقطة التالية كان خراس القصر يهجمون على البويار من كل صوب.. يضربون بعضهم ويقتلون آخرين بقسوة.. ولم يكن "دراكولا" يشاهد من بعيد

إنما أخرج سيفه وضرب أعناقاً صار نصله بعد ضربها يقطر حمرة.. بقي الكثير منهم أحياء.. نظر لهم "دراكولا" بعيون متسعة غاضبة وقال :

- خذوهم إلى القلعة.. ليعملوا كتفاً إلى كتف مع الفلاحين في تشييدها.

ثم قال بلهجة ذات مغزى:

- وليعملوا فيها من الجهة الشمالية.

الجهة الشمالية للقلعة هي الهاوية.. هاوية على ارتفاع ألف قدم.. كل من أرسله "دراكولا" هناك من البويار ماتوا.. بعضهم مات من الجوع.. أو من الإنهاك.. وبالطبع رماهم كلهم في الهاوية.. ثم إنه شن حملة قاسية جداً لاحق فيها كل البويار الساكنين في مملكة والاكيا.. نساؤهم وأطفالهم وشيوخهم.. كانت إبادة عرقية.. تعدت العروق إلى أصغر شعيبة بويار دموية تنبض في جسد أحدهم.. وبدأت أنياب "دراكولا" في الظهور.

على الجانب الآخر كنت أنا أقاتل في القسطنطينية.. كان "محمد الفاتح" حقاً كما تصفه كتب التاريخ.. داهية حقيقية.. إن دهاء الفرسان يختلف عن أي دهاء آخر.. دهاء لا خبث فيه.. دهاء صاف.. كانت ملحمة تاريخية ليس بوسعي ذكر تفاصيلها الآن.. لكننا حققنا هدفنا في النهاية.. وصارت القسطنطينية لنا.. بل صارت عاصمة المملكة الإسلامية العظيمة.

"لنفتحن القسطنطينية.. فلنعم الأمير أميرها.. ولنعم الجيش ذلك الجيش"

قال لي الأمير الفاتح في الميدان ناظراً إلى رأسي :

- "رادو" هل تضعون الحناء على شعور الرجال في والاكيا ؟

أمسكت بشعري الذهبي في استغراب ثم ابتسمت بفهم قائلاً :

- بل كنت أضع الحناء لسيفي ياسيدي.. لكن يبدو أن بعضا منها تتأثر على رأسي.

كان رأسي مضرجا بدماء الأعداء.. لكن رأسي لم يكن مهما.. كان المهم هو الخبر الذي جاءنا به مرسول الدولة.. لقد أعلنت والاكيا التمرد على السلطان.. لقد تمرد "دراكولا".. فعلها وتمرد.. لم يُرد السلطان "محمد الفاتح" أن يعكر صفو انتصاره بهذا الخبر.. لذا فقد سكت.. وأنا أعرف الفاتح عندما يسكت عن مثل هذا.. يبدو أن الأيام تدخر لنا معارك جديدة.. معارك مع أولي القربى.

لكن "دراكولا" كان يفعل شيئاً آخر في والاكيا.. لقد تعدى مرحلة إظهار الأنياب وبدأ في مرحلة إخراج القرون والمخالب.. دعني آخذك إلى والاكيا لتشاهد بنفسك..

هناك خمسة رجال يلتفون على ما يبدو أنه رجل يصرخ.. وهم يتحركون في عنف وكأنهم يفعلون فيه أمراً ما.. هاقد ابتعدوا عنه قليلاً وأمكنك أن ترى ما يفعلوه.. لقد ربطوا حبلًا في يده اليمنى وحبلًا في اليسرى.. وثالثًا في قدمه اليمنى ورابعًا في اليسرى.. وقام أضخم اثنين منهم بتثبيتته وتراجع ثلاثة منهم.. هل ترى؟ إنهم يربطون أطراف الحبال في جياد.. والرجل يصرخ مستنجدًا بلغة لا تفهمها.. ثم إنهم وجهوا رؤوس الجياد إلى الاتجاهات الأربعة التي تشير إليها أطراف يديه ورجليه المتباعدة.. ثم إنهم وخزوا الجياد فتحركت ببطء ليرتفع الرجل عن الأرض صارخًا.. وظلت الجياد تتحرك تارة وتقف تارة والرجل يتمزق باكياً.. ثم إنهم ضربوا الجياد بالسياط فثارت وتحركت بعنفٍ سريع.. لتتمزق أطراف الرجل الأربعة وتجري كل منها مع جوادها.

وهاهو رجل آخر يمسكه رجلان مفتولا العضلات ويرغمانه على الركوع وهو يصرخ.. ويأتي رجل آخر ماسكًا وتدًا خشبيًا طويلًا مسننًا ويضعه به في دبره طعنه لا تقتل.. يحاول الرجل أن يفلت بلا جدوى.. ثم يقيدون يديه ورجليه بطريقة معينة إلى الودد.. ثم يتعاون الثلاثة رجال على رفع الودد وتثبيتته في فتحة

بالأرض.. هاهو الرجل أعلى الودت وكأنه جالس عليه.. ويترك على هذه الحال حتى يموت.. ليست المشكلة في الموت من الجوع والعطش.. بل المشكلة في أن هذا الودت ينفرز ببطء شديد في أحشاء الرجل ولا يقتله.. فقط يعذبه من الألم.. ثم يموت الرجل لما يخترقه الودت ويخرج من جسده أو لما يموت من الألم.. أو من انفجار الأحشاء.. هذا الودت الذي رأيته الآن هو ما اصطُح على تسميته بالخازوق.. العقاب الذي اشتهر به "دراكولا" في كتب التاريخ.

ويبدو أن "دراكولا" قد أعجبته حكاية الخازوق هذه فأخذ يتفنن فيها تفننًا عجيبًا؛ فمرة يفرز الودت في فم أحدهم ويعلقه على الودت مقلوبًا.. وتارة يعلق النساء عليه من فروجهن.. وتارة يفرزه في البطون.. وتارة يفرزه في رقبة طفل رضيع.. لقد كان أخي مختلًا أو ربما شيطانًا حقيقيًا.. وبلغ من إعجابه بهذه الطريقة إلى أن جعلها هي العقاب الرسمي لأي خطأ يُخطئه أي فرد من أفراد الشعب.. فمن يسرق يخوزقه.. ومن يكذب يخوزقه.. ومن يضرب أحدًا يخوزق الضارب والمضروب.. بل إنه وصل إلى مرحلة أبعد من هذا.. دعني آخذك إلى هذا المشهد.

قلعة "دراكولا".. المكان المجهز بكافة وسائل التعذيب التي سأحكي لك نبذة عنها فيما بعد لو أسعفتني ذاكرتي.. عرش "دراكولا".. يجلس عليه شيطان آدمي أمامه طعام وشراب أحمر يبدو وكأنه خمر.. بجانبه كان يجلس أحد النبلاء البولنديين يأكل معه.. أمامهما الكثير من الضحايا المعلقين على الخوازيق يتألمون.. "دراكولا" يبدو مستمتعًا جدًا بصراخهم وكأنه يسمع ألحانًا عذبة.. أما البولندي فوضع يده على أنفه مشتمئًا من الرائحة الكريهة لبعض الجثث التي ماتت وتعتفت وأبقاها "دراكولا" على حالها ورائحتها.. التفت إليه "دراكولا" وقال :

- مابك؟
- ياسيدي لا أستطيع تحمّل رائحة العفن هذه ؟

- أبأس لأبأس سأعالج الأمر .

أشار إلى جلاوزته (رجاله) فهجموا على الرجل هجمة رجل واحد.. ثم أمرهم أن يرفعوه على خازوق أطول من كل الخوازيق المعروضة.. صرخ الرجل النليل البولندي حتى تحول صراخه إلى بكاء لها وخزوه بالوتد في دبره ورفعوه وثبتوه.. نظر إليه "دراكولا" قائلاً:

- أنت الآن في الأعلى أيها الصديق العزيز حيث لن تصل إليك الروائح الكريهة.

ثم شرب "دراكولا" من الكأس الحمراء التي أمامه والتي يتضح لك لما ترك انسياب السائل فيها أنه ليس خمرًا.. بل هو دم.. دم طازج.. دماء ضحايا ممزوجة بالخمر.. شرابه المفضل.. الذي كان يحب أن يشربه على آهات المعذبين المسلوخين أمامه كالذبائح والتي تقع على أذنه موقع زقزقة البلابل.. ويحب الطريقة التي يسيل بها الشراب من شفثيه إلى ذقنه.. كان هذا هو "دراكولا"

كان يضع قدورًا ويطهو الناس فيها أحياء.. بل ويأمر جلاوزته أن يقطعوهم بالسيوف وهم داخل القدور أحياء يصرخون.. المرأة الكسولة كانت يدها تقطع وتثبت على خازوق مستقل لتكون عبرة لكل النساء.. بل إنه نادى ذات مرة كل فقراء البلدة وشيوخها وأطفالها إلى وليمة عظيمة في سابقة استغرب لها الكل.. وبعد الوليمة قتلهم كلهم.. لأنه لا فائدة ترجى منهم.. إنما هم يُرهبون الدولة.. ودعني أكتفي بهذا القدر من المصائب.. لأنني لو ذكرت كل ما علمته لمأت مجلدًا مستقلًا.. باختصار.. لم يشهد العالم شخصية مختلفة مثل هذا من قبل ولا من بعد.. والمصيبة أن هذه الشخصية المختلفة كانت أخي.

لم يمض وقتٌ طويل حتى كان السلطان محمد الفاتح في طريقه إلى الإلكيا.. بجيش يسد الأفق.. وكنت معه جنبًا إلى جنب.. في طريقنا إلى "دراكولا".. ظلَّ الجيش يزحف حتى وصل إلى نهر الدانوب.. وكنا نرى جنود "دراكولا" على الجهة

الأخرى من النهر.. وكعادة "محمد الفاتح" وكما علمه "محمد" النبي أرسل مبعوثين اثنين من أفضل الرجال إلى الخصم لتسوية الأمور سلمياً.. فإما الجزية وإما الحرب.. وهذا ما حدث مع المبعوثين..

دخل المبعوثان المسلمان على الحاكم "دراكولا" في قلعته.. وكان قد أزال كل الخوازيق لغرض في نفسه..

- السلام عليكم يا حاكم والاكيا.. جئتكم من السلطان بكتاب يقول فيه.. أس..
- انزعا غطاء رأسيكما.

توقف المبعوث عن الكلام في دهشة.. قال "دراكولا" بغضب:

- انزع غطاء رأسك أنت وهو.. ماهذه العمائم الطويلة السخيفة؟
- إنها تقليد عثماني أيها الحاكم.. وعظمة تقاليدنا أهم من مزاجك المتعكر.
- لا بأس.. سابقيه لكما.. كما تشاءان.

وأشار إلى جلاوزته المجانين الذين أحاطوا بالمبعوثين في سرعة وأمسكوا بعنائهم في إحكام ثم قاموا بأمر شديد الغرابة والوحشية.. جاءوا بمسامير صغيرة رفيعة... وقيدوا المبعوثين.. ودقوا المسامير في عنائم المبعوثين لتخترق رؤوسهم وتسيل دماء رؤوسهم على أعينهم.. قال لهم دراكولا :

- هكذا ستبقى عنائمكم على رؤوسكم إلى الأبد.. اذهبوا إلى السلطان "محمد الفاتح" وأخبروه كيف أن "دراكولا" لم ينسَ التقاليد العثمانية.. وخاصة المتعلقة منها بإبقاء العمائم على الرؤوس.

عاد المبعوثون ودماءؤهم المندehشة تسيل على وجوههم.. وحكوا ما حدث معهم للسلطان الذي غضب غضبة لم أره قد غضبَ مثلها في حياته.. أمر السلطان أن تتحرك سرية قوامها عشرون ألف رجل لتخترق جيوش العدو.. أي ما

يساوي ثلاثة أضعاف جيش "دراكولا" .. وكان قائد الجيش فارسًا شجاعًا مسلم اسمه "حمزة" .. أفضل فرسان جيش السلطان في ذلك الوقت.

وكانت المفاجأة التي لم يتوقعها أحد.. لقد انهزم جيش السلطان هزيمة نكراء لم ينهزم مثلاً من قبل.. ولم نرَ إلا "محمد الفاتح" يقف بجواده على قوائمه الخلفية ثم يطلق به كالسهم وانطلقنا كلنا خلفه.. بجيش قوامه عشرون ألفاً آخرون يملؤهم الغضب وشهوة الانتقام.

وهانحن نخترق نهر الدانوب.. يالها من عزة تلك التي كنا فيها.. بالروعة هذا الدين.. لقد عادت إلي ذكريات قتالي في القسطنطينية.. أن تركض بجوادك بين عشرين ألف فارس مسلم ترك الدنيا وراءه ولم يعد يرى إلا الشهادة هو أمر لن أقدر أن أوصله إلى مخيلتك أبداً.. أمر عظيم.. وهانحن ندخل من أبواب المدينة.. وهانحن..

شعرت بحركة غير طبيعية في مقدمة الجيش.. وكنت أنا في أوسط الجيش.. رأيت الجمع قد تباطأت سرعته وسمعت أصواتاً تبدو وكأنها نجيب في مقدمة الجيش.. لم أفهم ما الأمر.. لماذا توقّف الرجال؟ اخترقت الصفوف بسرعة حتى اتضحت لي الصورة.. الصورة التي جعلت عيني تتسعان حتى كادت أن تخرج من مكانهما وتذهبان بعيداً احتجاجاً على هذا الهول الذي ترونه.. وتوقف جيش السلطان بل توقف السلطان نفسه بكل شجاعته.. انظر أمامك.. ألا ترك ما نراه؟

إنها غابة كثيفة.. بل غابتان كثيفتان.. غابة عن يميننا.. وغابة عن شمالنا.. غابتان جذوعهما أوتاد خشبية.. أغصانها أياد وأقدام بشرية حية وميتة.. أوراقيهما أجساد مخوزقة على الأوتاد.. أجساد خرجت منها أرواحها أو لم تخرج.. أجساد تنظر لنا بأعينها وتقول الله أكبر.. وكان للغابتين صوت.. صوت أهات ونجيب.. وصوت يذكر الله.. إنها السرية التي أرسلها محمد الفاتح.. لقد وضعهم الشيطان جميعاً على الخوازيق.. عشرة آلاف وتدًا عن يميننا وعشرة آلاف عن شمالنا.

توتر الجيش.. تعالت صيحات البكاء على الأهل أحياناً أو على الرفاق.. أو على إخوة مسلمين أو على الإنسانية.. وقف "محمد الفاتح" مذهولاً.. وجعل يتذكر طفولته مع "دراكولا".. ذلك الطفل الحقود الذي كان يناوشه ليل نهار.. الآن لم يعد طفلاً.. بل صار شيطاناً رجيماً.. يناوشه أيضاً.. نظر إلى ناحيتي.. كيف أنجبتكما بطن واحدة.. كيف رباكما أب واحد.. كيف صار أحكما فارساً مسلماً وصار الآخر مارداً من مرده الجحيم.. نظر "محمد الفاتح" إلى جيشه.. لقد انهارت كل جذوة حماس بداخلهم.. التفت "محمد الفاتح" لأول مرة في عمره بجواده لجهة العودة وقال :

- ليس اليوم يوم زحفنا.. لكن بحق هذه الأرواح الطاهرة وبحق كل قطرة دماء.. سنأتي برأس هذا الشيطان على وتد نضعه في منتصف القسطنطينية يرميه صبيائها بالحجارة.

والتفت جيش المسلمين عائدين من حيث أتوا.. لم تكن الحرب هذه المرة مع حاكم عادي.. لقد كانت مع "دراكولا".. الشيطان.

كان مستحيلاً في ذلك الوقت أن تفعل ما فعلت بالمسلمين وتنجو بفعلتك.. كان "محمد الفاتح" يجهز جيشاً قوامه ستون ألف رجل.. مليء بالخيول والمدافع والغضب.. وجعلني أنا على رأس هذا الجيش قائلاً:

- اذهب يا "رادو" واتتني برأس أخيك.. إن عرش والاكيا لم يُخلق لتعتليه الشياطين.. إن عرش والاكيا قد خلق من أجلك أنت.

- سأتيك به ياسيدي قبل أن تجف دماء شهدائنا في والاكيا.

وانطلقت على رأس ستين ألف رجل إلى والاكيا.. وفي هذه المرة سمع "دراكولا" خبرنا وبعدها ففعل شيئاً عجيباً؛ ترك عاصمة والاكيا واتخذ طريقاً إلى بوينار.. وجيشنا يطارده بغضب.. العجيب أنه كان يحرق مخازن الحبوب والطعام ويسمم الآبار في كل مدينة يدخلها ليتركنا بدون مؤونة.. فجيوش تلك الأيام كانت ترحف

على معدتها.. أي أنها كانت تعتمد في الإطعام على المدن التي تدخلها.. لكن هذا لم يفت في رجال كان الذكر طعامهم وشرابهم.. طاردنا "دراكولا" لمدة طويلة جداً.. ودخلنا في عدة معارك مع جيوشه.. فزنا بآثنتين وخسرنا في ثلاث.. كان كالشيطان يهاجم في آخر الليل.. لكننا استبسلنا حتى حاصرناه تماماً في قلعته في بوينار.. وانطلقت أنا وورائي جميع الرجال لنحطم بحوافر جيادنا أبواب قلعته.. ونزلت من على ظهر جوادي وأخرجت سيفي من غمده وجعلت أبحث عن الرأس.. رأس الشيطان.

قال لي "دراكولا" وكان يقف في ساحة خارجية تتوسط قصره:

- خنت بلادك يا "رادو" وألبسوك عمتهم الطويلة الخاوية ؟
- بل عرف قلبي طريقاً تاه عنه سنين طوال.. طريق تقع في نهايته رأسك.

ورفعت سيفي كما ترفع الفرسان سيوفها.. لأجد "دراكولا" يرمي بسيفه بعيداً ويفعل آخر شيء توقعته في تلك اللحظة.. قفز في بئر بمنتصف الساحة.. أسرع إلى البئر لأنظر بداخله في غضب لأرى "دراكولا" ينظر لي بسخرية ثم يركض هارباً في طريق أسفل البئر.. عزمت على اللحاق به لكنني رأيت رجاله قد أتوا في الأسفل وأوقدوا ناراً عظيمة ارتفع لهيبها إلى أعلى البئر حتى كاد أن يلفح رأسي.. كان هذا نفقا سرياً من أنفاقه التي عُرف لاحقاً أنه قد بناها في كافة قلاع.. لقد هرب "دراكولا".. هرب وترك لنا والايا.

هرب "دراكولا" إلى هنغاريا ليطلب الدعم من ملكها.. ولكن ملكها بدلاً أن يقدم له الدعم قام بأسره وسجنه في هنغاريا.. وظلّ مسجوناً سنين طويلة.. وأصبحت أنا أميراً على والايا حكمت فيها بالعدل وجعلت شعب والايا ينسى كل ما فعله به "دراكولا".. حكمت والايا تسع سنوات كاملة.. تزوجت فيها امرأة مسلمة وأنجبت طفلة جميلة مسلمة هي "ماريا".. ثم أتاني أجلي وخرجت

روحي إلى حيث مستقرها.. ومن جاء بعدي لحكم والاكيا كان رجلاً خارجاً من
سجن سنين طوال في هنفاريا.. رجل يدعى الشيطان.. "دراكولا".

شهر واحد فقط حاول فيها الشيطان أن يُعيد أسطورة حكمه في والاكيا..
شهر واحد انتهى برأسه مقطوعة على رماح أحد الحشاشين المتبقين بعد أن أباد
"هولاكو" دولتهم.. ذلك الحشاش الذي أمسك بالرأس وغمسها في العسل ثم
أرسلها إلى القسطنطينية.. إلى "محمد الفاتح" حتى يستلمها طازجة.. رأس
"دراكولا" التي غلقت في القسطنطينية في البلاط العثماني ليتفل عليها من يتفل
ويرميها بحجارته من يرمي.. رأس حوت عيين كانتا متجبرتين متفطرسيتين..
والآن أصبحتا مفقوتين تنظران إلى الأرض في دُل.

كان "دراكولا" مختلاً عقلياً.. فقد بلغنا أنه كان يفعل أشياء عجيبة جداً في سجنه
في هنفاريا.. كان يصطاد الحشرات والقوارض ويخونقها على أعواد صغيرة
من أغصان الشجر.. ويتسلى برؤيتها تموت.. أي شيطان هذا.. بل أي مذبول..
لكنه أخذ منا ما يستحقه.. ولقد خلقنا فرساناً لنوقف أمثال هذا عند حده.. ولا
نخشاه وإن خرجت له أجنحة يطير بها.. لا نخشى إلا غصبة من خلقنا.. لهذا خلقنا
فرساناً.. بل لهذا خلقنا مسلمين.

تَمَّتْ
